الدين من منظور ابن عربي

Religion from the perspective of Ibn Arabi or religion at Ibn Arabi

الباحث: شويني علي*
المشرف: إلياس قويسم**

الإرسال:	2020/07/14	القبول:	2020/11/13	النشر:	2020/12/31

الملخص باللغة العربية:

يشكل الدين جملة المعتقدات والعبادات المقدسة التي يؤمن بها الانسان فهو يمثل أساس وجوده باعتبار أنها تعبر عن الحالة الوجدانية والإيمانية التي ترسم عملية التفاعل بين النهائي واللانهائي، في حين يذهب الصوفية الى نظرة أبعد وأعمق حيث يصنف ابن عربي الدين الى جانبين الجانب اللغوي والشرعي، فأما اللغوي تندرج من خلاله ثلاثة مفاهيم أساسية: الجزاء، الانقياد، العادة. أما الوجهة الشرعية فهي تركز على منطلقين: دينٌ عند الله، دينٌ عند الخلق.

الكلمات المفتاحية: الدين؛ الإنسان؛ الجزاء؛ لانقياد؛ وحدة الوجود.

الملخص باللغة الانجليزية:

Abstract: Religion constitutes a set of sacred beliefs and worship that a person believes in. It represents the basis of his existence as it expresses the emotional and faith state that charts the process of interaction between the final and the infinite. Sufis go to a further and deeper view; Ibn Arabi classifies religion into

* - طالب دكتوراه، فلسفة اسلامية وحضارة معاصرة، الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، مخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر، وهران، الجزائر، البريد الالكتروني: [chouiniali21061987@gmail.com].

** - أ.د، قسم الحضارة، الجامعة الزيتونة، تونس، البريد الالكتروني [gouissemilyess@yahoo.fr].

two aspects: linguistic and legal. The linguist aspect includes three main concepts: retribution, docility, and habit, whereas the legal side focuses on two principles: a religion with God, a religion with people.

Keywords: religion, human being, retribution, docility, pantheism.

مقدمة:

يعيش الإنسان في هذا الوجود تحت تأثير كثير من الحتميات والمشكلات التي يرغب في تجاوزها والوصول إلى أبسط الوسائل التي تحقق له نوعا من الإطمئنان، والسلام الذاتي ومن خلال ذلك ينعم بلذة ذاتية تتسم بنوع من الاستقلالية، ولكن هذه الحرية مرتبطة بما هو فوقي أو متعالي (الله)، فرغبة الإنسان بالارتباط تبعث له نوعا من الذاتية المشبعة، والمقتنعة بأن الله موجود، وهذا الوجود مسير من قبل الواحد الأحد، وكل هذا يتجسد من خلال التجربة الدينية(الدين)، إذ يعد الدين نظاما خالصا للحياة، والوجود ككل ننعم من خلاله بالسعادة والإستقلالية والذاتية، فالروح التي تعمل على معرفة الحقيقة من خلال التعلق بالله ومعرفة اللانهائي معرفة عميقة تجعلها تشعر بالسعادة. من خلال هذا المنطق نطرح الأسئلة الآتية: ما هو مفهوم الدين؟ وكيف ينظر ابن عربي للدين باعتبارها تجربة إيمانية تتعلق بمعرفة اللانهائي؟ وماهي حقيقة وحدة الأديان في نظر ابن عربي؟

أولا: مفهوم الدين:

أ-اللغة:

لقد تعدد مفهوم الدين في اللغة ، حيث هناك من العلماء من إعتبر أن" الدين يرادف مفهوم الطاعة، ويقال أيضا: ديّنتُ الرجلَ تدَيناً إذ أوْكَلْتَهُ الى دينه، والدين مثلا الإسلام، وقد دُنْتَ به"[1] " الدال والياء والنون أصل واحد اليه ترجع فروعه كلها، وهو جنس من الإنقياد والذل، الدين: الطاعة، فأما قولهم إن العادة يقال لها دين، فإن كان صحيحاً فلأن النفس إذا إعتادت شيئا مرت معه وانقادة له،... ومنه ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أي يوم الحكم، وقال قوم الحساب والجزاء.[2] كما يطلق لفظ

1 - ابن منظور ، لسان العرب،مج2، دار صادر، ص439.

2 - سعاد حكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 485.

الدين أيضا" فالدين يعبر عنه بمعني العادة ويطلق بمعني أوسع على الحق والباطل ويشمل أصول الشرائع وفروعها، لانه عبارة عن وضع إلهي سابق لذوي العقول بختيارهم المعمود الى الخير بالذات"[1].

ب- اصطلاحا:

يعرف الدين في المعجم الفلسفي" مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها جماعة معينة، يسد حاجة الفرد والمجتمع على السواء، أساسه الوجدان وللعقل مجال فيه، حيث يقول الجرجاني" الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول الى القول ما هو عند الرسولﷺ"[2]، كما أن " الدين والملة متحدان بالذات، ومختلفان بالإعتبار، فالشريعة من حيث تطاع تسمى دينا، ومن حيث تجمع الناس تسمى ملة، قال الفرابي " الدين والملة يكونان إسمين مترادفين"[3]

لقد أكد الشهرستاني في كتاب الملل والنحل على أن معنى الدين" هو الطاعة والإنقياد" وقد قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾ (سورة آل عمران، الآية 19)

وقد يرد بمعنى الجزاء يقال " كما تدين تدان" أي كما تفعل تجازى، وقد يرد بمعنى الحساب يوم المعاد والتناد، قال تعالى ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾(سورة الروم،الآية 30) فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد، قال تعالى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة، الآية 03)

"فالدين العام من حيث هو في صميمه إستجابة لشعور خفي متجه إلى الغيب أو المطلق الخارجي الذي لانستطيع أن نلمسه في تجاربنا الواقعية سوى في تلك الأديان السماوية، وغير سماوية"[4] كما يعتبر محمد عبد الله دراز" أن الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الإعتقادات وإلى الخير في السلوكات والمعاملات"[5] وفي تعريف" آخر

1 - عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل، المصطلحات الفلسفية،ص 359.

2 - معجم اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د/ط)، 1982، ص 86. أنظر: وردت هذا التعريف أيضا في كتاب التعريفات للجرجاني.

3 - معجم اللغة العربية، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 86، راجع كتاب الملة للفرابي أيضا.

4 - نظمي عزيز محمد، قراءات في علم الجمال حول الاستيتيقا النظرية والتطبيقية الفن بين الدين والأخلاق، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، ج1، (د/ط)، 1996، ص 16.

5 - دراز محمد عبد الله، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان، دار القلم الكويت، (د/ط)، (د/س)، ص33.

يعتبر أن الدين هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها" [1].

ثانيا: الدين عند ابن عربي

ينظر ابن عربي الى الدين على أنه ذات وجهين: أحدها لغوي والأخر شرعي، كما أن الدين بالمفهوم اللغوي تندرج من خلاله ثلاثة مفاهيم: الجزاء، الانقياد، العادة.

1-الدين هو الجزاء:

حيث يقول "فمن هنا كان الدين أي معاوضة بما يسر وبما لا يسر ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ (سورة المائدة، الآية 119)، وهذا جزاء بما يسر﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ (سورة الفرقان، الآية 19) هذا جزاء بما لا يسر لقوله تعالى﴿ونتجاوز عنهم سيئاتهم﴾ (سورة الأحقاف، الآية 16) هذا جزاء، فصح أن الدين هو الجزاء"[2] بهذا المنطق يفهم الجزاء بمعني ما يجنيه الإنسان ثمرة لعمله، خير كان ذلك أو شرا، كان في معنى العودة... ولم يكن بمعني التكرار، لأن الجزاء كان إنسان خاص به قاصر عليه، ولما كان الجزاء لا يلاحظ فيه معنى العوض، بل هو ضرورة تقتضى بها طبيعة الأشياء"[3] من خلال هذا نعتبر "أن إمكانية الجزاء هي التي توجد الدين، والعكس الصحيح فالدين هو الذي يخلق إمكانية الجزاء، والسبب في ذلك يعود الى أن الشرك لا ينفع معه عمل، فمهما أتى المشرك من أعمال صالحة وحسنات لا يخلق معها مفهوم الجزاء وإمكانيته، لأنه لن يحاسب بل يدخل جهنم، وذلك ليس جزاء بل إختصاصا"[4]

2- الدين هو الإنقاد:

"فالدين عبارة عن إنقيادة... فمن إتصف بالإنقياد لما شرع الله له فذلك الذي قام بالدين، وأقامه، أي أنشأه كما يقيم الصلاة: فالعبد هو المنشئ للدين، والحق هو الواضع للأحكام، فالإنقياد هو عين فعلك"[5] وعلى هذا الأساس يكون إرجاع

1- المرجع نفسه، ص 52.

2 - ابن عربي، فصوص الحكم، تقديم ابو العلاء العفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د/ط)، (د/س)، ص96.

3 - ابن عربي ، فصوص الحكم للشيخ الأكبرمحي الدين ابن عربي المتوفي 638هـ، دار إحياء الكتب العربية، سنة 1946، (د/ط)، ص 102.

4 - سعاد حكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ص 476.

5 - ابن عربي ، فصوص الحكم، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، (د/ط)، (د/س)، ص 94.

الدين الى الإنقياد هو " الزاما بمضامين الشريعة كلها لأن الإنقياد فعل له غاية ووجهة، بل لا تظهر قيمته إلا في الغاية التي هي وجهته، فمن إنقاد للخير ليس كمن إنقاد للشر، اذن الدين الذي هو إنقياد، انما هو إنقياد لما شرعه الله، فالإنقياد : اتباع"[1] يقول الله تعالى﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (سورة آل عمران، الأية31)

3- **الدين هو العادة:**

ويفهم الدين بمعني العادة "وهو سائغ في الخير والشر غير أن العرف سماه في الخير ثوابا، وفي الشر عقابا، بهذا سمي أو شرح الدين بالعادة، لأنه عاد إليه ما يقتضيه وتطلبه حاله، فالدين العادة"[2]، قال الشاعر: كدأبك من أم الحويرث قلبها[3]" ويفهم الدأب في هذا البيت على أنه السير بما اعتدت عليه من خطوات، وهو نهج الدين.

وقد قسم الشيخ الأكبر الدين من الوجهة الشرعية الي دينين:

1- **دين عند الله**

2- **دين عند الخلق**

فأما الدين الذي عند الله: "فهو الشرع الإلهي الذي أنزله على أنبيائه، هذا الشرع الذي نلمس وحدته عبر تطوره في مراتب الظهور في صور الشرائع، فالشرع الإلهي واحد يظهر في كل زمن بصورة شريعة نبي ذلك الزمن، وما الشرائع كلها إلا ذلك الشرع الإلهي الواحد (الذي بدأ بآدم وختم بمحمد ﷺ) وهو الذي تم بشريعة خاتم الأنبياء"[4] حيث يؤكد في ذلك ابن عربي بقوله" الدين دينان، دين عند الله وعند من عرفه الحق تعالى ومن عرف من عرفه الله، ودين عند الخلق، وقد اعتبره الله، فالدين الذي عند الله هو الذي إصطفاه الله وأعطاه الرتبة العليا على دين الخلق"[5] يقول الله تعالى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ (سورة البقرة، الآية 132) وقوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾، (سورة آل عمران، الأية 19) وهو من خلال هذه الأيات يوضح صفة الإنقاد.

1 - سعاد حكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ص 477.

2 - ابن عربي، فصوص الحكم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د/ط)، (د/س)، ص 96.

3 - البيت الشعري هو لأمرؤ القيس

4 - سعاد حكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ص 478.

5 - ابن عربي، فصوص الحكم، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، (د/ط)، (د/س)، ص94.

"فالدين عبارة عن إنقياد، والذي من عند الله تعالى هو الشرع الذي إنقدت إليه، فالدين الإنقياد والناموس هو الشرع الذي شرعه الله تعالى، فمن اتصف بالإنقياد لما شرع الله له فذلك الذي قام بالدين وأقامه"[1] وعلى هذا الأساس يكون مبدأ التسليم المطلق للأوامر الإلهية هي عين الإنقياد لما تم شرعه من النواميس، كون أن الدين هو الواضع للأحكام التي ينبغي السير عليها، كالصلاة مثلا، التي يتقرب بها الإنسان الى الله، وبذلك تتحقق السعادة للفرد بحكم الإنقياد لما تم شرعه من الكتاب"فالدين الذي يتعب به الإنسان دينان، شريعة بمزلة المسائل المنصوصة، وتصوف بمزلة المسائل الإجتهادية، إذ هو مستنبط عن معني الأول مؤكد له ومشتمل كل منها على أصول وفروع، فأصول الشريعة مسائل الكلام، وفروعها الأحكام الفقهية، وأصول التصوف معرفة الحقائق، وفروعها معرفة الأحوال والمقامات والأخلاق"[2].."

"فالدين عند الله ثبت بالكتاب، وعند من عرفه الحق تعالى من الأنبياء ثبت بالسنة، وعند من عرفه الحق ثبت بالإجماع أو الإجتهاد"[3] فالأنبياء لهم مكانية كبيرة في الدفاع عن الشرع الإلهي" فعندما يتحدث جلال الدين الرومي عن الأنبياء يجعل آدام، أبى البشرية رمزا للإنسانية، بعتبار أن الإنسان حسب رأيه من أهم مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وبقدر تفهم أبناء البشر لمعارج الروح تكون مكانتهم وتكون منزلتهم قريبة من المبدع الخالق، فالأنبياء وأهل الحق هم خلاصة البشر"[4] أما "دين عند الخلق، أخذوه من معاني الكتاب والسنة وأقوال الأئمة، وإشاراتها مع استعانة الرياضة والمجاهدة، قوله تعالى﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية 69)

وإنما إعتبره لكونه مؤكد للغرض من وضع الشرع[5] فالدين الذي عند الله، المقصود به أن الشارع هو الله تعالى، وهو الذي إصطفاه الله، حيث أنزله على الأنبياء وخصهم بهم،" وأعطاه الرتبة العلية على دين الخلق" إذا جعله أصلا لا يقبل إلا بدين

1 - المصدر نفسه، ص 94.
2 - - علاء الدين على بن أحمد المهائمي، المرجع السابق، ص 245.
3 - علاء الدين على بن أحمد المهائمي، خصوم النعيم في شرح فصوص الحكم لختم ولاية الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي المتوفي سنة 638هـ ، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 245.
4 - مصطفى غالب، جلال الدين الرومي، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د/ط)، 1982، ص 39.
5 - علاء الدين على بن أحمد المهائمي، المرجع السابق، ص 245.

الخلق، وجعله كاملا مقبولا"[1] كما أن عملية الإنقياد تكون من خلال "القلب واللسان والأكان"[2] لذلك قال بأن الدين هو الإنقياد كون أن الإنسان هو محل التمثيل الإلهي بمختلف الأوامر الشرعية المزلة على الأنبياء، وبذلك يكون الإلتزام محل العامة.

"فالدين هو الإنقياد، والناموس هو الشرع الذي شرعه الله، فمن إتصف بالإنقياد لما شرعه، الله له فذلك الذي أقام بالدين وأقامه أي أنشأه كما يقيم الصلاة، فالعبد هو المنشئ للدين والحق هو الواضع للأحكام، فالإنقياد عين فعلك، فالدين من فعلك فما سعدت إلا بما كان منك"[3] فمن خلال الإنقياد للشرع تتحقق السعادة للعبد" فكما أثبت السعادة لك ما كان فعلك كذلك ما أثبت الأسماء الإلهية إلا أفعاله وهي أنت وهي المحدثات، فبآثره تسعى إلها وبآثارك سميت سعيد، فأنرلك الحق تعالى منزلته إذا أقمت الدين، وإنقدت الى ما شرعه لك "[4]

أما في قوله تعالى: ﴿ثم قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ (سورة الحديد، الأية 27) وهي النواميس الحكمية التي لم يجئ الرسول المعلوم بها في العامة من عند الله بالطريقة الخاصة المعلومة في العرف، فلما وافقت الحكمة و المصلحة الظاهرة فيها الحكم الإلهي في المقصود بالوضع المشروع الإلهي، اعتبرها الله اعتبار ما شرعه من عنده تعالى[5]: ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (سورة الحديد، الأية 27).

فالمقصود بالنواميس أنها الأحكام الحكيمية التي تنسب لأهل الكشف والعرفان، حيث " يذهب كل من القاشاني والقصيرى الى أن قوله" بالطريقة الخاصة" متعلق بإبتدعوها: أن انهم ابتدعوا الرهبانية بوضع طريقة خاصة معلومة في العرف طريقة التصوف عند المسلمين، وطريقة الرهبنة عند المسيحيين"[6] فهذه النواميس هي

1 - علاء الدين على بن أحمد المهائمي، المرجع السابق، ص 245.
2 - المرجع نفسه، ص 245.
3 - المرجع السابق، ص 246.
4 - المرجع السابق، ص 246.
5 - المرجع السابق، ص 247.
6 - ابن عربي ، فصوص الحكم، للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي المتوفي 638هـ ،دار إحياء الكتب العربية، (د/ط)، سنة 1946، ص99.

التي تتعلق بالتصوف "جعل في تعظيم ماشرعوه- يطلبون بذلك رضوان الله- على غير الطريقة النبوية المعروفة بالتعرف الإلهي"[1].

ويعلق أبو علا العفيفي على هذا القول ويعتبر أن هذه الجملة تفهم على أحد الوجهين الآتيين :

"أن التعظيم المطلوب منهم إنما طلب على غير الطريقة المعروفة في إرسال الرسل: لأن هؤلاء إنما يكون منم تعظيمهم لما أتوا به بعد ظهور المعجزة على أيدهم- وهذا هو المشار إليه بالتعريف الإلهي: أي تعريف الله الناس بهم"[2]

الوجه الثاني:

"أن ما شرعوه إنما كان على غير الطريقة النبوية المعروفة: أي أنه شئ غير ما جاءت به الرسل وزائد عليه، وذلك كصوم الدهر والإقلال من الطعام والخلوة وكثرة الذكر وعدم الإختلاط بالناس وما شاكل ذلك، وهذا الوجه هو الأقرب الى المراد"[3]

وعند حديث ابن عربي عن معني الآية التي تتحدث عن الرهبانية " ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا بتغاء...." فإنه يعطي لها معني مخالفا تماما لما تم تفسير من قبل المفسرين فهو يرى:

- أن الرهبانية التي يقول إنها (النواميس الحكيمية) معتبر عند الله شأنها شأن الدين.
- أن الله جعل في قلوب الذين ابتدعوها تعظيم ما ابتدعوه
- أنهم رعوها – وأنهم مارعوها حق رعايتها إلا إبتغاء رضوان الله.
- أن الله آتى الذين أمنوا (أي بها) أجرهم- وكثير منهم (فاسقون) أي خارجون عن الإنقياد إليها والقيام بحقها.[4]

ويعتبر أبو علاء العفيفي " أن في سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته والتابيعن مثال واضح لحياة رجال زهدوا في الدنيا ولكنهم لم يهجروها، وعبدوا الله ولكنهم لم ينقطعوا إليه، وأحلوا الطيبات من الرزق ولم يحرموها، أخذوا

1 - ابن عربي، فصوص الحكم، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، (د/ط)، (د/س)، ص95.
2 - ابن عربي ، فصوص الحكم، للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي المتوفي 638هـ ،دار إحياء الكتب العربية، (د/ط)، سنة 1946، ص100.
3 - المصدر نفسه، ص100.
4 - ابن عربي ، فصوص الحكم، للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي المتوفي 638هـ ،دار إحياء الكتب العربية، (د/ط)، سنة 1946، ص101

بفضيلة الوسط فلم يُفْرِطُوا ولم يُفَرِطُوا"[1] " وكانت حياة محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها قد تميزت بالتحنث والخلوة والإكتفاء بالقليل من الزاد والإكثار من المجاهدات والرياضات، وهي حياة تمثل الصورة الأولى المشرقة للحياة التي كان يحياها الزهاد والعبادة والصوفية فيما بعد، وهي حياة تتسم بالأذواق والمواجد والمقمات والأحوال والكشف والإشراق... وهي سبيلهم الى الحقيقة وطريقهم الى الله"[2]

أما عن حديث " لا رهبانية في الإسلام" فيقال إنه وضع في القرن الثالث هجري... فمنهم من رأى فيها معنى التحريم كالزمخشري، ومنهم من رآى الإباحية كإبن مجاهد والجنيد الصوفي"[3]

ثالثا: وحدة الأديان عند ابن عربي:

لقد حاول الصوفية منذ الوهلة الأولى لظهورهم تأسيس مبدأ رسين قوامه التسامح وهذا ما أكد " الخطاب الإسلامي في بعديه الصوفي والفلسفي نماذجا لمفكرين وفلاسفة أسسوا لفكرة التسامح والسلم انطلاقا من التصور الإسلامي لها... وكان أبرز الخطابات الصوفية حول السلم، خطاب الصوفي الكبير محى الدين ابن عربي، الذي يذهب الي أن الدين كله تسامحا، وأن العلاقة بين الإنسان وأخيه عن العلاقة بين النهائي واللانهائي أو المطلق"[4] وبهذا فهي تؤكد أن ابن عربي عندما يتحدث" عن علاقة الأديان فيما بينها، وعن وحدتها، وعن معالم التسامح والمحبة بينها ينطلق من ربط فكرة وحدة الأديان بنظرية وحدة الوجود"[5]

ويجب التنبيه في هذا المقال الى موقف بعض المتصوفة أمثال الحلاج وجلال الدين الرومي " ونستطيع أن نعتبر الحلاج بذلك أول من نادى بوحدة الأديان من المتصوفة، فقد قال" الكفر والإيمان يفترقان من حيث الإسم أما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما"[6] وهذا ما أكد عليه من خلال ذلك الحوار الذي دار بيينه وبين من

1 - المصدر نفسه، ص 100.

2 - محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د/ط)،1984، ص37-38.

3 - المصدر نفسه، ص 100.

4 - مجموعة مؤلفين، مفهوم السلم في الفلسفة السياسية، (بحمام نجاة، مقال بعنوان" السلم الثقافات والأديان)" مخبر البحث، فلسفة علوم وتنمية بالجزائر، جامعة وهران، ط1، 2013، ص56.

5 - المرجع نفسه، ص 56.

6 - عبد الحميد ديوان، الحلاج بين التصوف والفلسفة، دار النهج للنشر والتوزيع، حلب، سوريا، ط1، (د/س)، ص 89.

سمعه يشتم يهوديا وقد إعترض على ذلك وقال: "ان اليهودية والنصرانية والإسلام، وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة، وأسام متغايرة، والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف"[1]

حيث يقول:

تفكرت في الأديان جد محقق ❁❁❁ فألفيتها أصلا له شعبٌ جما

يرى ابن عربي أن "كل دين لا يحوي إلا قسم واحد من الحقيقة، إن الله محيط بالإيمان مهما تنوع، لذا كان التنوع بين الأديان أمر باطلا، وعلى المتصوف إلا العيش دينا واحد... وما من إمرئ يبتهل ويؤمن برحمته، فالدين كله واحد، وأن العابد ينظر الى جميع الصور على أنها حيقيقة واحدة هي الله"[2]

حيث يقول ابن عربي:

لقد صار قلبي قابلا كل الصور ❁ فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ❁ والواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ❁ ركائبه فالدين دينى وإيمانى[3]

إن هذه الرؤية لحقيقة المعتقدات رؤية نابعة من تأمل عميق للكون ومظاهره وقرآءة أعمق لمعطيات القرآن والسنة، ونجد مثال هذا المعنى في الأية القرآنية ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (سورة الرعد، الآية 10).

تجدر الإشارة بأن فكرة القول بوحدة الأديان عند ابن عربي كانت محل إختلاف عند بعض الدراسين للتصوف حيث نجد ان هناك من عارض القول (سعاد حكيم مثلا) القول بوحدة الأديان" لم يقل ابن عربي بوحدة الأديان... بل العكس من ذلك يفرق بين الأديان، من حيث هي صورة متمايزة مختلفة لذلك الدين الواحد، الذي هو الشرع الإلهي المتقلب في مراتب الظهور بصور الأديان المختلفة"[4].

1 - المرجع نفسه، ص89.

2 - مجموعة من الأكاديمين، جدلية العلاقة بين التصوف والعرفان، مكتبة مؤمن قريش و تموز للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2014، ص 63.

3 - ابن عربي، ترجمان الأشواق، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 62.

4 - سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، المرجع السابق، ص479.

الخاتمة:

يمكن القول في الختام أن التصوف عند ابن عربي لم تكن مجرد ممارسه وطقوس، بل كان علما وعملا، ومرأة عاكسة لأبعاد متنوعة غايتها الرفع من كرامة الإنسان، وجعله خليفة الأرض بمعنى الكلمة التي أردها القرآن الكريم غايتها القصوى هي التوحيد بين الأديان، وبذلك يكون هادفا إلى محاربة التعصب الديني، والدعوة الى الحوار بين الأديان، ويؤسس للحكمة، والتعقل في التصرف في شؤون الحياة.

وبالتالي يكون الاجتماع على الاخلاق هو إجتماع على الأخوة الاسلامية والمساواة والايثار، فالصوفي الحق هو من يجمع في مسلكه بين الشريعة والحقيقة وأن يكون موقفه في المجتمع موقف المجاهد والمصلح بالرجوع الى الينابيع الحقيقة للدين الذي يتجسد من خلال الانسان الكامل و الفرد الصالح أو المتصوف الحق.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم:

أ-قائمة المصادر:

1. ابن عربي ، فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي المتوفي 638هـ، دار إحياء الكتب العربية، سنة 1946، (د/ط).
2. ابن عربي، ترجمان الأشواق، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
3. ابن عربي، فصوص الحكم، تقديم ابو العلاء العفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د/ط)، (د/س).

ب-قائمة المراجع:

1. دراز محمد عبد الله، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان، دار القلم الكويت، (د/ط)، (د/س).
2. عبد الحميد ديوان، الحلاج بين التصوف والفلسفة، دار النهج للنشر والتوزيع، حلب، سوريا، ط1، (د/س).
3. علاء الدين على بن أحمد المهائمي، خصوم النعيم في شرح فصوص الحكم لختم ولاية الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي المتوفي سنة 638هـ ، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
4. مجموعة من الأكاديمين، جدلية العلاقة بين التصوف والعرفان، مكتبة مؤمن قريش و تموز للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2014.

5. مجموعة مؤلفين، مفهوم السلم في الفلسفة السياسية، (بحمام نجاة، مقال بعنوان" السلم الثقافات والأديان)" مخبر البحث، فلسفة علوم وتنمية بالجزائر، جامعة وهران، ط1، 2013.
6. محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د/ط)، 1984.
7. مصطفى غالب، جلال الدين الرومي، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د/ط)، 1982.
8. نظمي عزيز محمد، قراءات في علم الجمال حول الاستيتيقا النظرية والتطبيقية الفن بين الدين والأخلاق، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، ج1، (د/ط)، 1996.

ث- قائمة الموسوعات:

1. ابن منظور ، لسان العرب،مج2، دار صادر.
2. سعاد حكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981.
3. عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل، المصطلحات الفلسفية.
4. معجم اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د/ط)، 1982.